لا تكتب رواياتها لتصفي حسابات مع احد

فضيلة الفاروق: بيروت مدينة مغشوشة وأهلها يرفضون نقد الغريب

الجزائر ـ «القدس العربي»:

فضيلة الفاروق روائية جزائرية من جيل التسعينات، أي جيل الأزمة، كان ظهورها الأول من خلال مجموعة قصصية، قبل أن تنتقل للرواية وتصدر «مزاج مراهقة» و«تاء الخجل» وأخيرا «اكتشاف الشهوة». كاتبة شغوفة بأسئلة «الطابو» الاجتماعي، بقضايا المرأة، وبلغة البوح السري لحميميات النساء في عالمنا العربي، وما يحدث فيها من تأثلات سرية ومواجع غير مفصح عنها، هنا محاورة ولبعض القضايا المثيرة في كتاباتها السردية:

■ الى أين وصلت مع الكتابة الروائية؟

■ **حقيقة لا أدري أين وصلت، لكني أعرف جيدا أني بدأت وأني أخطو خطواتي بكل ثقة على درب الرواية، وأعرف أيضا أن الكتابة تأخذ النصف الأكبر من عمري، وتجعلني أبتعد حتى عن نفسي كانسانة، أعرف أني خسرت أشياء لا تعد ولا تحصى ولكني أربح في كل يوم فضيلة الكاتبة.**

ربما الكتابة سواء كانت روائية أو غيرها مجرد وهم نعيشه فيما تضيع منا حياتنا الحقيقية ولكنها الوهم الذي يستحوذ على قلوبنا وعقولنا ويجعلنا طيورا تحلق في أفق حر وجميل.

حقيقة لا أدري أين وصلت ولا أعرف هل يصل الكاتب الى محطة ما، ولكني أعرف أن الوصول مع الكتابة لمنتهى أو لمحطة نهائية شيء لا يتحقق، اننا لا نصل حتى ونحن نكتب الحرف الأخير بأقلامنا، اذ نظن دائما أننا سنستمر، ويسكننا ذلك الهاجس الوهمي أننا لن نموت وأن مشاريعنا ستنتظرنا حتى ننجزها.

أين وصلت؟ يبدو لي السؤال تعجيزيا لأني لم أصل الى شيء، الساحة أمامي واسعة وتعج بالكتاب وبالأقلام وبالأفكار وأنا بينهم لكني لا أعرف موقعي بالضبط، ربما الآخرون يعرفون.

■ ما هي القضايا والأسئلة التي شغلتك في «مزاج مراهقة» و«تاء الخجل» ولم تعد تشغلك فيما بعد؟

■ **حين كتبت «مزاج مراهقة» ظننتني كتبت كل ما يجب أن يقال عن المرأة ومواجعها خاصة في الجزائر، لكن الحياة كانت أكبر وأوحش وأبشع وأجمل من أن تختصر في رواية، فبعد مزاج ... وجدتني أهتم بقضية الفتيات المغتصبات ومصيرهن في مجتمع مثل مجتمعنا، فكتبت «تاء الخجل»، ثم بعدها وجدتني مهتمة بمشاكل المرأة في حياتها الحميمية، يبدو لي أن الأبواب تنفتح بابا خلف باب وأجدني متورطة في الاستمرار، ولا أدري ان سقطت بعض القضايا من اهتمامي ولكني أعرف أن دائرة اهتمامي تزيد، ولعل من أهمها مشكلة الهوية عند الجزائريين، التعريب، التاريخ والجيل الناشيء، وقضايا أخرى.**

في رواياتي لا أكتب لأصفي حساباتي مع أحد كما يفعل البعض، الكتابة عندي أرفع من هذه المكانة النرجسية الحقيرة، انني أكتب من أجل مجتمع بأكمله، وأكتب من أجل أوجاع الآخرين وان كانت بعض مواجعي تفرض نفسها.

■ كيف تفكرين في الرواية من زاوية الأنثى؟ كرؤية وحساسية وليس مجرد دنس/أنثى؟

■ **أنا أكتب، وأظنني عملية جدا في هذا الموضوع والمسألة في نظري لا تحتاج الى تفكير، فنحن نكتب دون أن نخطط هل نكتب الرواية أو القصة أو أي شيء آخر، نكتب ونرمي بأثقالنا في النص ونتبع مشاعرنا التي ترضى على ما نكتب أو لا ترضى.**

من جهة أنا لا أفكر بالرواية من باب أني أنثى، صحيح أن الحياة تجعلني أفكر من هذا الباب، كما أفكر بالرجل من باب أيضا، لكن الرواية تجعلني فيها من باب أني قلم، وأفكر أني لهذا اللفيف من الروائيين دون أن هل أنا أنثى أم ذكر.

نعم كقارئة أنا أنجذب للنص النسوي وخلال هذا المعرض بحثت عن جديد لدى الروائيات العربيات ثم دها انتبهت للكتاب الرجال، لكن هذا تمييز العنصري» الذي أمارسه في راءاتي يختلف حين أكتب ربما لأني قمص أكثر من شخصية من شخصياتي عادة ما أختفي وراء الشخصيات رجالية كتمويه قوي، وفي كل الحالات رواية عالم كبير وجميل وفيه أنسى نني أنثى وأنني أشيخ وأنني خسرت أشياء كثيرة في الحياة، انها تعويض مقنع لي على كل الخسارات وهذا يكفي أراها رفيقة وفية لي. ومن هذا الباب فكرة الدنس / الأنثى بعيدة عني حتى وان كتبت «تاء الخجل». بالعكس تماما فكل نضالي منبعث من اقتناعي بأن الأنثى كائن أكثر نقاء وأكثر عطاء ويستحق الحياة أكثر.

■ على الرغم من بعدك عن الجزائر الا أنك بقيت تكتبين عنها؟ أليس لمكان العيش أثر ما؟

■ **حين جئت الى بيروت كنت أظنني سأكتب عن بيروت لا غير، كنت مفتونة بعد بكتابات غادة السمان عنها وعن ذلك الوهج المنبعث من تلك المدينة من خلال كتاباتها، وبعد فترة من اقامتي فيها وجدت مدينة أخرى تختلف وكان حنيني كله لقسنطينة التي تركت فيها أهلي وأصدقائي وذكرياتي.**

فضيلة الفاروق (القدس العربي)

وفي الحقيقة وجه الشبه بين المدينتين منعدم تماما، فقسنطينة مدينة فيها روح أما بيروت فمدينة مغشوشة فيها بهرج وفيها حركة وفيها مثقفون وكتاب ومسرح وأضواء وجرائد وفضائيات ونميمة وقيل وقال ولكنها مدينة لم تقنع قلمي بشيء وكلما كتبت عنها كتبت مواجعي كلها وهنا لا أحد يقبل أن تنتقد بيروت من غريب ولعل البعض يذكرون الحرب التي أقامها المثقفون اللبنانيون على أدونيس منذ سنتين لأنه انتقد بيروت وتحدث عن سلبياتها، وهذا أدونيس بعظمته، فما بالك لو كنت أنا...

هذا الموضوع بالذات يبدو شائكا حين أتحدث عنه ولا أحد يفهمني فيه ولكن بيروت مقترنة بعذاباتي التي أفضل أن أؤجلها لوقت آخر لأتحدث عنها.

■ ماذا ننتظر منك غدا؟

■ **صدرت لي منذ أيام روايتي الجديدة «اكتشاف الشهوة» وهي نص مختلف توغل للمرة الأولى في الحياة الحميمية للمرأة، لقد أردت فقط أن أبين لكثير من الذين يظلمون الكاتب الجزائري أن جرأتنا تفوق جرأتهم وأننا كأقلام نكتب من أجل مواجعنا لا من أجل أن نثير القارئ.**

انني قارئة جيدة للرواية وأعرف أن أغلب الكتاب يوظفون الجنس فقط لبعض الاثارة أو لأهداف أخرى ولكن ليس من أجل وضع اليد على الجرح، لقد كتبت هذه الرواية من أجل النساء اللواتي يمتن صمتا وهذا كل ما في الأمر.

التقاها: بشير مفتي

فضاءات اردنية

تحولات الشوق في موسم الهجرة الى الشمال

عمان ـ «القدس العربي»:

للناقد والأكاديمي الأردني د. محمد شاهين صدرت الطبعة الثانية من كتابه «تحولات الشوق في موسم الهجرة الى الشمال» وذلك عن مكتبة مدبولي في مصر، والكتاب كان صدر أيضا بتقديم الناقد الراحل د. احسان عباس، الذي وصف كتاب شاهين بقوله: «هذه قطعة من النقد المقارن الممتع الموسع للآفاق، المعمق للبصيرة، ومع ما في هذه الدراسة من كشوف جديدة، واشراقات فكرية باهرة، فان د. شاهين لم يقل الكلمة النهائية في الرواية، بل ستظل «موسم الهجرة» تستثير النقد من زوايا جديدة، وقد كان مخلصا لمنهجه النقدي حين قال «ان موسم الهجرة تعاني أكثر ما تعاني من الحداثة التي طلعت علينا بها مبكرة بالنسبة للرواية العربية، تلك الحداثة التي لا تنظر الى الحبكة كمرتكز أساسي حيث تتابع فيها الأحداث وتتسلسل من أول الرواية الى آخرها، ويظل القصد منها وفيها طافيا على السطح، وتكون متعة قراءتها موسمية، لا موسما متجددا يعود كلما عدنا الى قراءتها».

أما د. شاهين فيقول في مقدمته للطبعة الثانية «يجدر بنا أن نقول هنا أن الشهرة الواسعة التي أحرزتها رواية موسم الهجرة الى الشمال لم تأت من فراغ ولا يتسع المجال هنا للحديث عن الكم الكبير من الكتابات عنها بالعربية وباللغات الأجنبية، ولكن لا بد أن نذكر أن الرواية تتميز بطرح ريادي لقضية أزلية عشناها في الماضي، واستمرت في الحاضر، وستستمر في المستقبل، تلك هي قضية المواجهة بيننا وبين الغرب، و ليس المهم طرح القضية في ذاته، وانما الجراة التي طرحت بها القضية على نحو أدى الى جب الطروحات الروائية التي سبقتها بسبب استكانة الطرح وعدم اعتماد التكافؤ بين الطرفين في المواجهة» الكتاب ضم اضافة الى مقدمتي شاهين وتمهيده وتقديم احسان عباس مجموعة من الدراسات هي: الكاتب الحقيقي والكاتب الضمني: الشخصي والشخصية «موسم الهجرة» و«مرتفعات وذرينج»: «الهجرة ومرتفعات الغربة، الطيب صالح وكونراد: الهجرة ومرتفعات الظلمة، الطيب صالح وستاندال: حب التحديات، «عصفور من الشرق» و«موسم الهجرة»: رومانسية الشرق وهجرة المواجهة، ملاحظة ختامية: محاولات في ظلال الموسم، وأخيرا حوار مع الطيب صالح أجراه شاهين، وفيه كشوفات عن شخصية جين موريس، وتفاصيل الرواية.

ثقافة المقاومة في الآداب والفنون

■ عن كلية الآداب والفنون في جامعة فيلادلفيا صدر كتابان خصصا لأوراق المؤتمر الدولي العاشر للجامعة والذي عقد العام الماضي 25ـ28 نيسان (ابريل) بعنوان «ثقافة المقاومة»، وقد قام بتحريره ومراجعته كل من: د.صالح أبو اصبع، د. عزالدين المناصرة، د. محمد عبيد الله، أما موضوعات هذه الأوراق في جزئيه الأول والثاني والتي جاءت في نحو ألف صفحة فمنها: الاطار النظري والفكري، مدخل: ما المقاومة، لماذا المقاومة، ثقافة المقاومة، أيدولوجيا القتل وفلسفة المقاومة، ثقافة التغيير وثقافة التبرير، التمييز بين الارهاب والمقاومة تحليل خطاب الارهاب، الجدل حول الارهاب في وسائل الاعلام الأمريكية ـ الاسرائيلية، ثقافة الارهاب وخرائط الفقر في الجزائر، ارهاب الاحتلال الامريكي في العراق، المقاومة في تجارب عربية وعالمية، ثقافة المقاومة وجدلية التضاد في التواصل بين الثقافات الخطاب الاعلامي والمقاومة، تطور ثقافة المقاومة في الخطاب الاعلامي الفلسطيني، ثقافة المقاومة في الاعلام اللبناني، ثقافة المقاومة: تجليات أدبية المقاومة بين السيف والقلم، الفكر الأدبي العربي بين ثقافة المقاومة ومقاومة الثقافة، استقبال شعر المقاومة في النقد العربي و ثقافة المقاومة عند معين بسيسو، الارهاب الديني روائيا، المقاومة في الفنون، المقاومة في الفن التشكيلي المكسيكي، دور الأغنية الفلسطينية. أما المشاركون في هذه البحوث فمنهم :حسن حنفي، أحمد برقاوي، رزان جدعان، فائزة الهيتي، مسعود ضاهر، عزالدين المناصرة، محمد عبيد الله، محمد خرماش، محمد الجعيدي، فاروق بوزكوز، راتب السكر، علي نظري، علي باقر طه، محمد ربيع، نواف الزرو، عدنان خوجة، وغيرهم.

تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية

■ للباحثة د. صبحة علقم صدر كتاب «تداخل الأجناس في الرواية العربية: الرواية الدرامية نموذجا» وذلك عن المؤسسة العربية للدرسات والنشر في عمان وبيروت بدعم من وزارة الثقافة، أما الموضوعات التي تناولتها علقم فكانت: «الرواية الدرامية محاولة في تأصيل المصطلح»، تشكيل النوع الروائي (هل الرواية نوع أدبي مستقر)، علاقة الرواية بالملحمة والدراما، الدرامية والحوارية، حدود الرواية الدرامية، الرواية الدرامية العربي، المحاولات الأولى، المسرحي يكتب الرواية، والروائي يلجأ الى المسرحية، التجريب الروائي والبحث في أشكال جديدة، منحى السارد الموضوعي أو الدرامي، المنحى الروائي في الرواية العربية، بنك القلق لتوفيق الحكيم واضطراب النوع الروائي، ملف الحادثة 67 لاسماعيل فهد السماعيل واختفاء السارد، ظلال على النافذة لغائب طعمة فرمان والمسرحية داخل الرواية، أمام العرش لنجيب محفوظ وزعزعة السياق الروائي السابق، درامية الموضوع في «قبعتان ورأس واحد» لمؤنس الرزاز.

كبت الناقد د. خليل الشيخ عن هذا الكتاب «تطمح هذه الدراسة الجادة الى اكتناه هاجس من هواجس الرواية العربية المعاصرة، الذي يتمثل في طموح الرواية الى التفاعل الخلاق مع الأجناس الأدبية الأخرى، وبخاصة فن المسرح، والتفاعل بين الرواية والدراما الذي يشير في أحد جوانبه الى مرونة الفن الروائي وقدرته على أن يفيد من معطيات الفنون الأخرى، بهدف تطوير الشكل الروائي وتطويعه كي يستوعب معطيات وتقنيات جديدة للوصول الى رواية عربية قادرة على التعبير عن الوعي الفكري والجمالي للعصر الذي تنتمي اليه، دون أن تفقد الكتابة الروائية عبر هذه المثاقفة الواعية سماتها وخصائصها وهويتها المرنة لذا صار من الطبيعي أن تتلاقى في مسيرة الرواية العربية المعاصرة تيارات شتى، ومدارس متعددة، ورؤى ابداعية مختلفة تصبو هذه الدراسة للكشف عن أبرز ملامحها وتحولاتها».

قص

العصا

نجيب كعواشي*

■ دخل السينما لأول مرة في عيد الأضحى، أخوه الأكبر سبقه إليها، وحكا له عن سحرها وإغرائها. كان عنوان الفيلم (capitaine apache) وكان بطله (لي فان كليف). البطل جندي أمريكي، بزي أزرق، وقبعة جلدية، وحذاء جلدي طويل، يصل إلى الركبة، والأعداء هنود حمر، يرتدون الجلود، وأكاليل الريش على شعورهم الطويلة. أقدامهم حافية، وفي أيديهم فؤوس، يمتطون جيادا برية، مطهمة، وغير مسرجة. في طفولته توهم نفسه بطلا من طينة (جون واين) أو (كلينت ايستوود) أو (كاري كوبر)، وفي عاشوراء يشتري له أبوه بندقية، رصاصها من الفلين، أو مسدسا يطلق الماء. قبل أن يدخل بيتهم جهاز التلفزيون، كان يذهب مع أخيه كل ليلة ليشاهدا التلفزة عند الجيران.

عندما يبدأ الفيلم يبحثان بين الوجوه، عن البطل، أما البطلة فكان من السهل معرفتها. جميلة وشقراء، ولكنهما شاهدا فيلما لم تكن بطلته شقراء، كانت سمراء، بل وخرساء.. وكانت من الأعداء، لم يفهما.. لماذا تكون البطلة من الأعداء؟

البطلة دائما من الأخيار. من سيختطفها إذا كانت من الأعداء؟

ـ ها هو البطل..

ـ اسكت لنفهم..

ـ إنه هو. أنظر إليه. أشقر وعيناه زرقاوان. هو البطل..

لم يكن فيلم السهرة هذه المرة عن رعاة البقر، ولكن عن أشخاص غادروا كوكبهم، وتاهوا في الفضاء، وهبطوا في كوكب آخر يسود فيه القرود: (كوكب القرود). لم يخب انتظارهما. الفيلم أيضا فيه تشويق وإثارة، ولم يشاهدا مثله من قبل. إنه أول فيلم في أول يوم يدخل جهاز التلفزيون منزلهما، يوم مشهود. كانا يشعران بالحرمان قبل أن يدخل التلفزيون منزلهما، خصوصا لما علما أنه منذ مدة، كان يعرض مسلسل (طرزان). أصدقاؤهما قالوا إنه إنسان يعيش في الأدغال والحيوانات أصدقاؤه.

لم يفهما، كما لم يفهما كيف أن القرود في كوكبها تتكلم، وتحب، وتغير، وتعرف الخير والشر، ولها مختبرات.. و.. كانا مهووسين بمعرفة عناوين الأفلام، وأبطالها، ومخرجيها، وسنوات إنتاجها. أعجبا بالبطل وحفظا عن ظهر قلب إسمه:

(شارلتون هيستون). توالت الأفلام، وشاهدا العديد منها، ولما اكتشفا الشاشة الفضية، سحرتهما وقلبت كيانهما. كانت القاعات تعرض أفلاما مختلفة.. سنيما (الصحراء) تعرض فيلم (الوصايا العشر). قرآ العنوان واسم البطل: (شارلتون هيستون) مرة أخرى، بطل (كوكب القرود). بطل كبير ونجم عظيم، الأخ الصغير سوف يشاهد الفيلم لكن الأخ الكبير لم يكن من عشاق الأفلام التاريخية، وفضل فيلما بوليسيا في قاعة (كوليزي)، بطله ألان دولون: (un flic pourri)، عرفاه في فيلم لن ينسياه: (la tulipe noire). كان فيلما رائعا، ولكن الأخ الصغير فضل فيلم (الوصايا العشر) ليرى بطله، بطل كوكب القرود، مرة ثانية لأنه معرفة قديمة. سبق لأخيه أن شاهده، وحكا له عنه حتى بات ينتظر بكل شغف أن يعرض مرة أخرى. فتنه عصا سيدنا موسى وهي تنقلب أفعى، وتفترس عصوات أكبر السحرة في الدنيا، وافتتن أكثر وهي تشق البحر ويصبح يابسة، فاجتاز موسى ومن معه البحر، فعاد البحر وأطبق على فرعون ومن معه، فغرقوا وسط الأمواج العاتية.. ذهبا للسينما دون إذن الأب الصارم: إياكما ثم إياكما أن يؤذن عليكما المغرب وأنتما خارج المنزل. لكن إغواء الشاشة الفضية كان أقوى، وأنساهما الوصية. ستفرقهما رغبتاهما المتناقضتان. ولأنه ضعيف البنية طلب من أخيه أن يحجز له التذكرة، نظرا للزحام الكبير أمام سينما (الصحراء) والأخ الأكبر متمرس على الزحام والتدافع. بقي في آخر الساحة، وراء الحشد الكبير، يراقب وينتظر. عاد الأخ عرقانا، منفوش الشعر، ومكمش الملابس، وفي يده التذكرة. سلمها له وقال له:

ـ هاهي التذكرة. فيلمك طويل، وستجدني بانتظارك بالخارج.

أخرج نظارته الطبية ومسح زجاجها بمنديله وثبتها فوق أنفه ودخل القاعة، ووجد أنوارها منطفئة، يخترقها طولا من الأعلى، فوق رؤوس المتفرجين، شعاع أفقي قوي، مصدره كوة خلفية عالية، ويصطدم بالشاشة. بحث عن مقعد شاغر بالصفوف الأولى ولم يجده. تحرك بين الصفوف راجعا إلى الوراء. المقاعد التي مر بها مملوءة. وهو واقف حجب الشاشة عن بعض الجالسين. صامتون، وأعينهم مثبتة على الشاشة. بدت له بضعة مقاعد شاغرة لكن فوقها معاطف ومناديل. وجد أخيرا مقعدا لكن شابا كان يجلس أمامه غطى عليه زاوية الرؤية، وكلما مال الشاب، أو غير من جلسته، يضطره أن يميل هو الآخر معه. لم يرس في جلسته، وطلب من الشاب أن يتخذ وضعا يسمح له بالمشاهدة. نهض الشاب وبادله المقعد، شكره ثم استوى في جلسته وعيناه نحو الشاشة. لم يكن ينتظر إلا شيئا واحدا، كان الدافع لمشاهدة الفيلم: أن تشق العصا البحر نصفين.. رآها تتحول بين يدي سيدنا موسى إلى حية حقيقية تمشي بإذن الله وتبتلع الحبال التي أوهم سحرة فرعون الحاضرين أنها ثعابين.. فانبهر بالسحر..

أنفاسه محبوسة، لكن الوقت يمر، والبحر لم ينشق بعد، وأخوه بالخارج ينتظر. متى سينشق البحر؟ بدأ يفقد صبره. تمنى لو يستطيع أن يغير مجرى الفيلم، ويحذف بعض المشاهد ليصل بسرعة إلى اللحظة التاريخية العظيمة. الفيلم سائر، والشوق والتشويق يستفحلان. لماذا لا ينفعل المتفرجون؟ صابرون. متحملون. لا يحتجون.

ماذا ينتظرون؟ لعلع أذان المغرب من مئذنة المسجد المتاخم لقاعة السينما. لا أمل في رؤية العصا النبوية وهي تقسم البحر، ولكن تراءت له بدلها، العصا في يد أبيه..

* قاص من المغرب

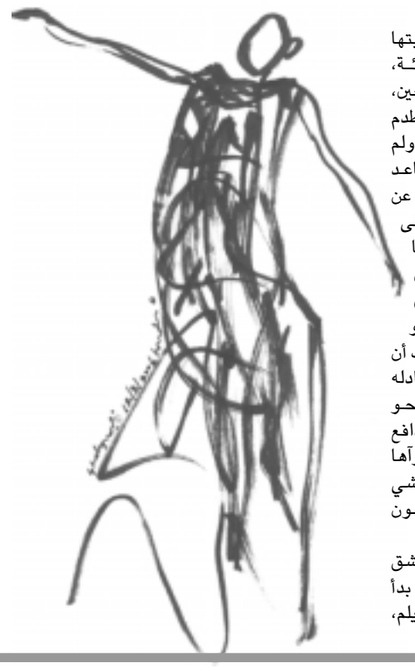

شاهد في

من أولي الشعر الى اولي الزّجر!

خيري منصور*

■ ما أثير مؤخرا او عبر اكثر من منبر ثقافي حول ملتقى الشعر في صنعاء، يضيف عدة نقاط على حروف اراد لها البعض ان تبقى صمّاء ومبهمة، فمن الواضح ان تضاريس الخريطة الشعرية العربية الان اختلطت بها خطوط الطول بخطوط العرض، ووجد خط الاستواء من يدفع به الى الحافة، وما كان مسكوتا عنه اصبح الان على الحلبة، وتحت إضاءة توشك ان تكون حارقة ! والسؤال ببساطة ودونما موارية طالما لاذ بها خالطو الاوراق هو من يدعو مَنْ للملتقيات الشعرية العربية في مختلف العواصم ؟

وأية معايير يحتكم اليها القضاة الذين صعدوا الى المنصات بلا تأهيل من أي نوع ! اللهم الا اذا كانت الوظيفة مؤهلا ابداعيا نجهل قيمته ! ان أول ما نلاحظه في هذا السيرك المشرع الأبواب هو آخر ارتباط بين الشاعر والشعر، بحيث لم تعد النصوص هي المتداولة مهرجانيا ونقديا ... بل أسماء الشعراء بمعزل عن اي انجاز يعتدّ به! لهذا ما لإقصاء قدر هؤلاء الذين لا يجيدون مهنة التدليك وعقد المضايقات، والمستفيدون من إدامة الصمّت والتواطؤ على هذه الظاهرة هم الأقل اكتراثا بالشّعر، والاكثر استخفافا بالثقافة كلّها !

لأنهم يدركون أن الاحتكام الى معيار حتى لو كان تقريبيا يحذفهم بجرّة أصبع وليس بجرّة قلم فقط ! والوصفة النموذجية المقترحة الآن على سلالة شعراء بلا نصوص هي الاهتداء عبر مختلف الطرق الى أصحاب التواقيع باللون الأخضر، حتى لو كان لون النحاس المتآكل والفطر وليس لون العشب !

وكنا قد أثرنا سؤالا مشابها قبل بضعة شهور في القدس العربي حول ظاهرة المقايضات المهرجانية والتزلّف النقدي وتغييب الضمير الثقافي، لكن من هزّوا رؤوسهم موافقين لم يكلفوا أنفسهم بإضافة سطر واحد الى تلك الشهادة التي جازفت بأن تكون استشهادية قدر تعلّقها بالدعوات الكرنفالية لحضور حفلات تنكرية شعرية في هذه العاصمة الفقيرة او تلك !

ان ما يدفعني مجددا الى اعادة الطرق على هذه البوابة التي تتدلى عليها أقفال مغطاة بالصدأ هو تجارب شخصية، عشتها في عواصم أضافت الشعر الى اكسسوارات الاعلام وواجهاته، ففي اثنتين منها على الأقل شاركت سيارات الشرطة في مواكب الشعراء وهي تخترق الأزقّة الفقيرة، المليئة بأكاسيد الفقر والتخلف، وكأن الشرطة تحمي الشعراء من قرائهم او من كانوا مرشحين لهذه المهمة !

وقبل أن يأخذنا الاستطراد بعيدا بغواياته المعروفة، لنعد الى السؤال الأول.. وهو من يدعو من ؟ هل هناك لجان نقدية معنية برصد المشهد الشعري ام أن الامر منوط بمواعظ المحترفين ؟

الأرجح ان مثل تلك اللجان لا توجد الا في خيال شاعر بريء مبتدىء، أسلم أمره لأولي الزّجر الذين اوهمهم سادتهم بأنهم من اولي الأمر وأولي الشّعر معا !

فهناك شعراء كرّستهم المهرجانات، ومهرهم النقد الصحافي السطحي والمُداحي بعلامات فارقة، ينتدبون أنفسهم او يجدون من ينتدبهم أوصياء على الشعر القاصر، فيضيفون ويحذفون، وكأنهم يملكون القلم والممحاة معا، ولا ندري من أين استلهموا هذه العصمة والحصافة ؟

هؤلاء حريصون على استبعاد كل ما يجرح صدقيتهم الثقافية والابداعية، ويستبدلون قاعدة المفاضلة بقاعدة مضادة هي المراذلة بحيث يقل الأقل سوءا مكان الأفضل ومنهم من يحلم بأن يكون جلفر الشعر في بلاد الاقزام !

لقد علّق بعض الشعراء الاجراس لكن الطرشان لم يسمعوا، ولعلّ ما قرأته مؤخرا للصديق الشاعر محمود القرني في أخبار الأدب القاهرية مثال لمثل هذه المجازفة، فقد دخل من الباب هذه المرة ولم يتلصص من النافذة على ما يجري في القاعات المظلمة غير عابىء بمن يدعوه او لا يدعوه في أية حفلة تنكرية قادمة. لقد آن لهذا التحالف غير المقدّس بل المدنّس بشهوات الثأرية والتبادلية السرّخسية ان ينفضّ، لأنه على حساب جملة حقائق، وعلى حساب مواهب مهملة، لأنها لا تجيد التزلّف ولا تعرف من أين تقضم الاكتاف حتى لو كانت أكتاف أطفال حفاة وقد نتأت عظامهم من فرط الهُزال !

***

قال لي شاعر شاب، وموهوب يعيش في أقسى العزلة، ان من يطرحون هذا السؤال المحرّم حول كوميديا المهرجانات يجب أن يكونوا ممن يعانون من فائض الدّعوات، كي لا يقال بأن من يشكو انما يبحث عن عظمة من بقايا الذبيحة، وقد يكون ما قاله قد حفّزني مجددا لطرح السؤّال .. .. من يدعو من ؟ ولأنني لا اشكو من شحّة في الدعوات التي اصبحت أعفّ عن معظمها خصوصا المتعلق بالشعر وحفلاته التنكرية، فقد وجدت نفسي مدفوعا بقوة، وبوازع أخلاقي للصراخ بأعلى صوتي بأن هذه الامبراطور ليس عاريا من الثياب فقط، بل هو هيكل عظميّ ....

فمن يثرثرون صباح مساء وعبر الفضائيات والارضيات عن الفساد السياسي وربيبه الفساد الاقتصادي، لا يلامسون قارة تعجّ بالعطن اسمها الفساد الثقافي، وذلك لسببين على الاقل.. أولهما ان هذا الفساد غير مرئي بالعين المجرّدة وغير مرصود بالارقام، وثانيهما أن الفساد الثقافي ترعرع في حاضنة الاعلام الفاسد، واندغم في مؤسساته واسطبلاته، فلم يعد مفروزا بوضوح !

هذا اضافة الى جهل المشتغلين في السياسة وشجونها بالحياة الثقافية العربية، لأنهم استخفّوا منذ البدء بالثقافة وقيمها والمهمشين الذين يؤدّنون في الجرار.

أعرف أننا ننفخ احيانا في قربة مثقبة كالغربال، وأن معظم الصّرخات تذهب سدى، وسط هذا الضجيج المبهم الذي لا يتعرف فيه المرء على الصهيل من المواء او النّباح !

فالفوضى تدبّ في فلول من المهزومين الذين رفعوا شعار: أُنجُ سعد فقد هلَك سعيد، وكما يحدث لقطيع هاجمه فهد أو أسد، تصبح النجاة بالجلد او بما تبقى منه هي رهان الفرد الذي لا حول له ولا قوة !

وتلك سايكولوجيا لم يخترعها راصدو التحولات الكبرى والنزوحات الجماعية لدى الشعوب لأنها استقراء ميداني لما يجري !

***

ان من حق اطفال الحارة أن يلفّقوا كرة قدم من جوارب آبائهم وخرق امهاتهم البالية ويلعبوا تحت النافذة، وقد يكون من حقهم استعارة اسماء اللاعبين المحترفين التي يلتقطونها من التلفزيون لمجرّد اللهو، لكن من حق آبائهم أن يهزوهم ويوقظوهم من الوهم اذا استبدّ بهم اللهو وصدقوا ان كرتهم هي الكرة... وأنهم بالفعل اللاعبون، وقد لا نحتاج الى كثير من التأويل لتهجير هذه الكرة والملهاة الجوربية الى الثقافة فثمة مشتغلون في هذا الحقل، يريدون للمعيار المعرفي ان يتدنّى حتى ملامسة القدم، وللسقف ان يكون أوطأ من رؤوسهم. لأنهم يزدهرون في غياب اللاعبين، وساهم الاعلام النرجسي المصاب بالعمى الايديولوجي او السلطوي في ترسيخ هذه الملهاة، بحيث أصبحت حتى السلاحف والبرمائيات تصنّف ضمن هويات اقليمية، كما قال جورج طرابيشي في كتابه «عن الدولة القُطرية»!

قبل أكثر من عشرين عاما بلغ السيلّ الزُبى لكنه الآن تجاوزه وفاض وأنذر بالطوفان، اذ لم يعد من الممكن الصّمت، فهو تواطؤ بل تحالف استراتيجي مع كل المبيدات التي تتهدد حياتنا، وتقضم وجودنا تحت مختلف العناوين المضلّلة !

وما كان همساً على استحياء وتسولاً للشرعية تحوّل الى استحقاقات لا يشوبها نُقصان، وعلى الحُرّ وفق هذه الكيمياء السحرية ان يعتذر لمن رهن نفسه حتى للشيطان بحثاً عن نفايات الغنيمة !

لقد علقت حتى الآن أجراس كثيرة، ولا ينقصنا الشهود بل ما ينقصنا هو الاصغاء والمبالاة، فأحيانا يكون فقدان القدرة على الاندهاش عيباً في الذات المقهورة التي انحسر خيالها حتى بات أقصر من ظلّها، وليس عيبا في مصدر الادهاش، سواء كان نصا او شهادة تقارب الاستشهاد في زمن صارت فيه العولمة مرادفا للمُومَأة !!!!!

* شاعر وكاتب من الاردن